المحور الثالث

الترجمة المصطلحية والمعجمية، التعليميات

إشكالية ترجمة المصطلح السيميائي
في الدراسات النقدية العربية المعاصرة

أ.د رشيد بن مالك

مدير مركز البحث العلمي والتقني لتطوير اللغة العربية – الجزائر

1) مقدمة منهجية

سيقتصر بحثنا الموسوم بـ إشكالية ترجمة المصطلح السيميائي في الدراسات النقدية العربية المعاصرة على بعض العيّنات المأخوذة من الجزائر والمغرب وتونس وسورية. ولئن لاحظ القارئ افتقاد البحث إلى الطابع التمثيلي، فإن لهذه المشكلة اعتبارات عديدة.

أولها: انقطاع التواصل العلمي بين الباحثين العرب وفي أغلب الأحيان داخل البلد الواحد. وكان لهذا الوضع انعكاسات سلبية، فكثرت البحوث الفردية التي تعددت معها الخطابات النقدية واختلفت في مقاصدها العلمية . وأضحينا إزاء ترسانة من المصطلحات تعبرها سيميائيات لا يتبيّن القارئ حدودها ولا معالمها، وهي في جميع الحالات لا ترقى لأن تمثل تراكمات تقرأ كأحسن ما تكون القراءة. ومع ذلك، استطاعت بعض البحوث في مختلف البلدان العربية أن ترقى بالبحث إلى أعلى درجة من التفكير والتمثّل الواعي والهادف إلى بناء استراتيجية بحثية تعمل على إفراز قيم علمية ستكون فاعلة لا شك في المسار الإيجابي الذي سيؤول إليه البحث السيميائي مستقبلا. إنّ اقتصارنا على بعض العيّنات لا يقلّل من شأن بحوث عربية أخرى ظهرت في مجلاّت مهمّة (الفكر العربي المعاصر، فصول، علم النص، علامات، بحوث سيميائية...). إن هذا البحث المختصر لا يتحمل الإحاطة الشاملة لكل ما كتب في الحقل السيميائي. اقتصرنا فقط على العينة الموضوعة قيد الدرس لأن أصحابها يلتقون نظريا وتطبيقيا في التوجّهات المنهجية العامة للنظرية السيميائية مع تفاوت في المصطلحيّة المعتمدة وفي الأولوية التي يعطيها كل واحد منهم لهذا المستوى أو ذاك من النظرية. ويمكن أن نلاحظ أيضا أن هذه الدراسات بقيت وفيّة للسيميائية الكلاسيكية ولم تأخذ في الحسبان التطوّرات الجذرية التي تشتمل على الاعتراضات المنهجية التي سجّلها تلامذة غريماس بخصوص المربّع السيميائي والمسار التوليدي والسرديّة والصيرورة. وهذا لا ينقص من الجهود التي بذلها الباحثون العرب في وسط رافض لهذا التوجّه. و قبل أن نبدأ بقراءة هذه البحوث، ينبغي أن نشير إلى الدراسة الموسومة بـ مدخل إلى الدراسات السيميائية بالمغرب /محاولة تركيبية للباحث محسن أعمار[1] الذي حاول أن يقدم فكرة عن البحوث السيميائية في المغرب وعن

الإنجازات العلمية الراهنة في الكتب المنشورة والدراسات الأكاديمية، غير أنه لم يقتف أثر كل دراسة بل اكتفى بتقديمها تقديما مختصرا لا يلقى فيه القارئ الفروق الجوهرية بين باحث وآخر، والتحوّلات العميقة التي يمكن أن نلمسها مثلا من خلال قراءتنا لكتابات الأستاذ بن كراد سعيد من أول كتاب له: مدخل إلى السيميائيات السردية إلى آخر دراسة لم ينشرها بعد والموسومة بـ ممكنات النص ومحدودية النموذج؛ والتي يعرض فيها قراءة نقدية في الطروحات المؤسّسة لنظرية غريماس. وتكمن أهمية دراسة الباحث محسن أعمار في توجيه القارئ إلى الدراسات السيميائية الأساسية في المغرب وقواسمها المشتركة المتمثلة في:

– محاولة تقليص المسافة بين مفاهيم ومصطلحات مستمدة من سياقات ثقافية مغايرة للثقافة العربية، وبين معطيات النصوص الأدبية بحمولتها اللغوية والثقافية.

– ضبط المفاهيم، وتدقيق المصطلحات، وطرح النظرية قبل وضعها على محك التطبيق.

– نزوع الباحثين إلى اختيارات منهجية وطروحات نظريّة تضع القارئ أمام ترسانة هائلة من المفاهيم والإجراءات، غير المتداولة في لغته وفي سياقه الثقافي[2].

ويمكن أن تنسحب هذه القواسم على الدراسات السيميائيّة العربية عموما.

ثانيها: سبق وأن أشرنا في بحوثنا إلى أن الدراسات السيميائية شهدت إعادة نظر جذرية بدأت في بداية التسعينيات ثم لم تلبث أن توسّعت. فما كان من البديهيات بالأمس أضحى في الحقبة الأخيرة موضع تساؤل وجدل؛ ولكنه جدل يهدف إلى صياغة حلول جديدة على نحو ما رأينا ذلك عند كورتيس الذي تراجع عن إنجازات اعتبرناها من الثوابت في وقت مضى، ولم نتوقع أبدا أنه سيعيد فيها النظر فحصلت عملية قلب أعطت الصدارة في التحليل لمسألة التلفظ بوصفها فعلا محدثا وصانعا للموضوع السيميائي. وإزاء هذه الهزّات العنيفة التي حدثت على الصعيدين النظري والتطبيقي، وأفضت إلى ظهور سيميائيّة جديدة لجيل جديد، فإن الباحث العربي يشتغل في ظروف خاصة ووفقا لقيود تسيّجه في إطار له خصوصيّاته. فهو مطالب بالتفكير على جبهات عديدة وينبغي أن ينجز في الوقت ذاته بحوثا نفترض أنها تغطّي قراءة وتمثّلا، وترجمة، وتفكيرا في كل ما أنجز من بحوث سيميائية قديمها وحديثها حول مختلف الممارسات الاجتماعية الدالّة باللسان وغير اللسان مع مراعاة الخصوصيّات المحليّة في أثناء التطبيق على النصوص العربية. وهناك قناعات راسخة في الأذهان مازالت تغذّي الممارسة النقدية في كثير من المؤسّسات التعليميّة العربية، وعليه ينبغي أن تعرض الدراسة لحياة الشاعر وظروفه وأسلوبه الجزل وعاطفته الفيّاضة والجيّاشة، ليصدر بعد كل ذلك حكم على عاطفته. هل هو صادق في تعبيره أم غير صادق. نضيف إلى هذا الوضع المتردّي للاختيارات التي ينبغي أن يحسم فيها

الباحث. في الوقت الذي خطا فيه البحث في الفكر الأوروبي خطوات عملاقة، لازلنا ضائعين في متاهات المصطلح كل باحث يترجم حسب ما يحلو له و في حالات خاصة ولم تتوصل البحوث السيميائية إلى بلورة خطاب علمي لا يلقى فيه أصحابه مشقّة في تمرير المعارف السيميائية. نستثني من ذلك بعض الدراسات العربية الرائدة في هذا المجال التي حاول أصحابها تبسيط خطابهم إلى أدنى درجة ممكنة همهم الوحيد في التعامل مع النظرية السيميائية أن يفهموا ما فيها من المعقّد أحسن الفهم ويتمثّلوه جيدا ليتسنّى لهم بعد ذلك تبليغ ما فهموه وما تمثّلوه في خطاب علمي يحكم سيطرته على المسائل المعقدة، يروّضها ويبلّغها أحسن تبليغ للقارئ.

ثالثها: إذا كانت الساحة النقدية قد عرفت تخلفا كبيرا في مجال ترجمة البحوث السيميائية، فإن السؤال الذي يطرح نفسه بحدة يتعلق بطبيعة النصوص الغزيرة التابعة لمدرسة باريس التي يقع عليها الاختيار والأولويات التي ينبغي أن تؤخذ في الحسبان في عملية انتقائها. هل نولي أهمية إلى النصوص الخاصة بتاريخ البحث السيميائي أم نجنح إلى ترجمة البحوث النظرية والتطبيقية التي ظهرت قبل وفاة أ.ج.غريماس. وإذا احتفظنا بهذه الفرضية، فإننا لا نشك في أن هذا الاختيار سيفرز حركة نشيطة في الترجمة وسيرافقها جدل كبير وقراءات نقدية في مضمون هذه النصوص. وهي قراءات ستتم في جميع الحالات بمنأى عن المستجدّات البحثيّة التي ظهرت بعد وفاة غريماس وعن الاعتراضات على المسائل النظرية المنظور إليها على أنها حقائق في سيميائية الجيل الأول. وإذا افترضنا أن الاعتراضات العربية على طروحات غريماس مؤسسة ولا يتسرب إليها الشك، فإنها ستشيد أيضا بمنأى عن اعتراضات السيميائيين أنفسهم على طروحاتهم على نحو ما حصل ذلك لغريماس وكورتيس. إن إثارتنا لهذه المسائل صادرة أساسا عن قناعتنا بأننا وصلنا إلى طريق مسدود. ولحل هذه الإشكاليات وحتى نأخذ فكرة جليّة عن الوضع الذي سيؤول إليه البحث السيميائي، ينبغي أن نفكر مليّا فيما كتب من بحوث وفي الجهود التي بذلت ومازالت تبذل وفي الحلول التي يمكن من خلالها سد الثغرات ونعاين و بكلّ موضوعية نقاط القوة في هذه البحوث التي يمكن أن تشكل قاعدة أساسية لجمع شمل الباحثين من جهة واستشراف المستقبل من جهة ثانية. من منطلقات هذه القناعة، حاولنا أن نقف عند عيّنات محدودة من بعض الدراسات السيميائية العربية لتقديم قراءة جزئية نعتبرها محاولة متواضعة لا تهدف بأيّة حال من الأحوال إلى صياغة حلول نهائية للإشكاليات المطروحة على الصعيدين النظري والتطبيقي. رغبنا فقط في إثارة بعض الأسئلة بخصوص القضايا التي بدت لنا أنها جديرة بالطرح والمساءلة وصياغة، كلما دعت الضرورة إلى ذلك، وفي شكل اقتراحات متواضعة، بعض عناصر الإجابة بخصوص هذه القضية أو تلك.

2. إشكالية ترجمة المصطلح

إن استشراف مستقبل الدراسات السيميائية العربية المعاصرة يمر حتما عبر إدامة النظر في المصطلحية المعتمدة في الخطاب العلمي و معاينة الوضع بدقة من خلال تأصيل المصطلح بالرجوع إلى المفهوم في اللغة الأصل الذي يحدّده ويتحدد عبره. وفضّلنا أن نأخذ كعيّنة في هذا المبحث الترجمة التي وضعها خليل أحمد وأوديت بيتيت لكتابLes enjeux de la sémiotique لـ آن إينو الذي ظهرت ترجمته في سنة 1980 [3]. وأوّل ملاحظة يمكن أن نقيّدها على هذا البحث الذي ظهر في وقت مبكر جدا تتمثل في افتقاده إلى الإحالة على النصوص اللسانية التي سبقته. وتكاد تنسحب هذه الملاحظة على نسبة غير قليلة من النصوص الراهنة التي جاءت ترجمتها في غياب الاستفادة من الجهود المبذولة في هذا النوع من البحوث. في هذا السياق، يصرّح محمد الناصر العجيمي أنه « واجه قدرا كبيرا من المصطلحات بمجهود فردي أساسا »[4]. من هذه المنطلقات، ستؤدي هذه الجهود الفردية إلى تضارب الخطابات النقدية وتضليل القارئ في كثير من القضايا المتصلة بالأطر المفهومية للمصطلح في علاقاتها بالأسيقة التي ترد فيها. ولتوضيح هذه القضايا نبدأ بالترجمة التي وضعها خليل أحمد وأوديت بيتيت لعنوان Les enjeux de la sémiotique و الذي جاء نقله على النحو الآتي: مراهنات دراسات الدلالات اللغوية. وإذا دقّقنا النظر في المفاهيم الممررة عبر هذه العبارة، فإننا نلاحظ أنها تغطي فقط جانبا من الجوانب التي تعنى بها السيميائية[الدلالات اللغوية] .يكفي أن ننقل هذا العنوان وكما جاءت ترجمته في اللغة الهدف لنتأكد من أنه ينزاح عن التعريف الذي وضع أصلا للسيميائية، ويمكن أن يتوزع على النحو الآتي:

مراهنات ← Enjeux

دراسات ← études

الدلالات ← significations

اللغوية ← linguistiques

ويقودنا هذا التوزيع الذي أردنا أن نتحقق من تطابقه مع المفاهيم التي يمكن أن يجسدها العنوان في اللغة الهدف إلى صياغة العبارة الآتية: Les enjeux des études des significations linguistiques. إن الترجمة بهذا الشكل تقصي الدلالات المتجليّة في غير اللسان من الاعتبارات السيميائية وهذا التحديد يتضارب مع التعريف الذي وضع للسيميائية ومجال اهتمامها. وهو مجال لا يتجاوز البحث في الدلالة من خلال تمظهرها في الأشكال اللسانية وغير اللسانية التي تنتجها المجتمعات البشرية.

وتعد هذه الأشكال الدالة بامتياز ممارسات اجتماعية[5].من منطلقات هذا الحد، نقترح الترجمة الآتية: «مراهنات السيميائية». ويظل الإشكال قائما بخصوص ترجمة مصطلح carré sémiotique بـ مربع دلالي. ذلك أن الصفة دلالي توضع عموما كمقابل لـ sémantique. وقد قيّدنا هذا التضارب أيضا في كتاب **المصطلحات الأدبية المعاصرة**[6]الذي جاءت فيه الترجمات مضطربة في كثير من المواضع ومفصولة عن سياقاتها وغامضة في مفاهيمها لا يدرك القارئ قوّتها الإجرائية ولا يفهم علّة وجودها ولا الغاية من الحديث عنها [انظر على سبيل المثال لا الحصر المواد التالية: السيميائية (ص. 69)، المربع السيميائي (ص.70)، البنيات السردية (ص.65)، القيمة (ص.105)]. و قد لمسنا من خلال قراءتنا لهذا المعجم تضاربا كبيرا في الترجمات نذكر منها بعض العيّنات:

أ. **السيميائية** ← sémiotique

ب. **السيميوتيكية** ص.71 ← sémiotique

ج. التحليل **السيمي** ← analyse sémiotique

إن قراءة سريعة في هذه العيّنة تقودنا إلى الإقرار بوجود ترجمات مختلفة [أ(ترجمة)– ب(تعريب) –ج (ترجمة)] للمصطلح الواحد. وإذا دقّقنا النظر في ج، فإن التحليل السيمي يحيل على مجموعة من الإجراءات التي تمس الحدود المعنوية للوحدات المعجمية. نلمس هذا الاقتراب المنهجي في التعريف الذي بناه غريماس على الحدود المفهومية للسيم[7] انطلاقا من مبدإ الاختلاف الذي أرسى قواعده ف.دي سوسير واستعمله للدلالة على أنّ المفاهيم المتباينة تكون معرّفة ليس بشكل إيجابي من مضمونها وإنما بشكل سلبي من علاقتها مع العناصر الأخرى للنظام .وقد تمثل غريماس هذا المبدأ داخل تصور جديد يقتضي فيه الاقتراب من المسألة الدلالية استيعاب الاختلافات المنتجة للمعنى، دون الاكتراث لطبيعتها في إطار بنية تدرك بحضور عنصرين (على الأقل) تربطهما علاقة بطريقة أو بأخرى. ويرتكز هذا التمثيل أساسا على فرضية هيالمسلاف والتي بمقتضاها يمكن فحص ماهية المضمون بالأدوات المنهجية المطبقة على صعيد التعبير. وعليه، فإن تمفصل العالم الدلالي إلى وحدات معنوية صغرى (السيمات) يناظر الفيمات المميّزة لصعيد التعبير.إن السيم بوصفه وحدة دلالية قاعدية لا يحقق وجوده إلا في علاقته بعنصر آخر. ولئن كانت وظيفته خلافية بالدرجة الأولى، فإنه يستحيل أن يدرك خارج إطار البنية.

تأسيسا على ما سبق، تنبني الترجمة أساسا على تمثل وفهم المصطلح في اللغة الأصل وإدراك سياقاته والنظر في النصوص النظرية التي تغذيه وضبطه بما يتوافق والإطار العام الذي يندرج ضمنه البحث. ويؤدي الابتعاد عن التوجهات الأساسية في العمل الترجمي إلى اضطراب في

الفهم ينعكس سلبا في عملية تلقي الرسالة على نحو ما نلحظ ذلك في ترجمة النص الآتي :

« Le savoir n'a de sens dans une vie que s'il est un vouloir – savoir ou un faire – savoir , s'il fonde l'activité de l'homme en tant que quête »(8)

و قد ترجم خليل أحمد وأوديت بيتيت هذا المقطع على النحو التالي : « إن المعرفة لا معنى لها في الحياة إلا إذا كانت إرادة معرفة أو إعطاء معرفة، تأسيس فعالية الإنسان كاستجداء »

أما الأستاذ أحمد علي، فإنه يقترح في تقديمه كتاب المراهنات الترجمة الآتية :

«**لا معنى للحياة، بل معرفة تتصف بإرادة الإنسان للمعرفة، أو بصناعة لها، لأن حيوية الإنسان : تتحقق بطلب المعرفة واكتسابها، ثم بمنحها لغيره**» إن القارئ لهذه الترجمة لا يلقى نفسه في لغتها؛ وهي ترجمة حرفية لا تحيل على مضمون النص ولا تراعي الشروط الأساسية في الصياغة العربية التي جاءت مهزوزة وغامضة. حتى المصطلحات اقتفت الصياغة الفرنسية وأسقطت إسقاطا على البنية العربية مما جعلها تفتقد إلى التماسك التركيبي والدلالي. إنّ غريماس في هذا المقطع لا يشير لا من قريب ولا من بعيد إلى صياغة المعرفة أو إعطاء المعرفة. فهو يميز تمييزا واضحا بين المعرفة من جهة والرغبة في تبليغها من جهة ثانية. وإذا دققنا النظر في عمق هذه الترجمة، فإننا نلاحظ أنها حولت المعنى عن مجراه الطبيعي. وإذا رجعنا إلى النص الأصلي يتبين لنا أن غريماس حدد في هذا المقطع الشروط الأساسية لوجود المعرفة، وهو وجود يرتهن إلى برنامجين أساسيين :

– يتحقق البرنامج الأول بتأسيس فاعل ممتلك للرغبة في إقامة وصلة بالمعرفة، ومن ثم، فإنّ فعله [نشاطه] ينضوي داخل عملية التحري المسخّرة لسد الافتقار réparation du manque .

– يتحقق البرنامج الثاني عبر فاعل مالك لرغبة في تبليغ المعرفة .ولئن كان غريماس لا يشير إلى الإرادة، فإننا نفترض وجودها؛ إذ لولاها لما امتلك الفاعل الكفاءة لتحقيق الأداء. بالإضافة إلى هذا، فإن الباحث ترجم النص ترجمة حرفية دون أن يكترث في ذلك للجوانب النظرية للمصطلح. إنّ وضع الاستجداء كمقابل لـ quête بعيد كل البعد عن السياق الدلالي الذي سخّره غريماس لوضع الشروط الضرورية المؤدية إلى امتلاك أو تبليغ المعرفة. ذلك أن الاستجداء في الاصطلاح اللغوي مشتق من :

جدا فلانا وعليه جدوا : أعطاه،

جداه جديا : سأله الجدوى ،

اجتداه، استجداه : طلب منه الجدوى(9) .

ولئن كان الاستجداء، في بعده الدلالي، يفتقد إلى الفاعلية، فإن المستجدي يحتل دائما وضع فاعل حالة فاقد لموضوع القيمة. من هنا وجب أن نفكر في مصطلح آخر يحقق الفاعلية

في منظورها السيميائي .من خلال معاينتنا للمصطلحيّة المعتمدة في بعض البحوث السيميائية العربية، فإننا نرجّح استعمال التحرّي كمقابل لـ quête . فهو، من جهة، يتوافق مع ما ينسب عادة من فاعلية للفاعل المنفّذ sujet opérateur، وينسجم، من جهة أخرى، مع الوحدات المعنوية التي يحملها التحرّي على نحو ما نلحظ ذلك في اصطلاحه اللغوي:

حرى الشيء، تحرّاه و تحرّى عنه: اتجه نحوه[10]. إن المسار الدلالي المحقق في /التحرّي/ يناظر تماما التعريف الذي وضعه غريماس لمصطلح quête والمستعمل للدلالة على **تنقّل الفاعل في اتجاه موضوع القيمة** [la quête est le déplacement du sujet vers l'objet] [11]. من هذه المنطلقات يمكن أن يترجم المقطع السابق الذكر على النحو التالي: «إن المعرفة لا معنى لها في الحياة إلا إذا جسّدت الرغبة في تلقي أو تبليغ المعرفة، وأسّست نشاط الإنسان بوصفه تحرٍّ...».

وإذا انتقلنا إلى موضع آخر من هذا الكتاب، فإنه سيتبيّن للقارئ أن الباحثين لم يوليا أهمية إلى الجهود العربية المبذولة في مجال ترجمة المصطلح. ولئن كنا مدركين عمق الاختلافات القائمة بين الباحثين العرب بخصوص هذه المسألة، فإنه لا ينبغي أن يتذرع بهذه الحجة لإقصاء هذه الجهود. إنّ المتتبع للترجمات العربية في مجال اللسانيات السيميائيات، يدرك لا محالة أن نسبة متواضعة منها تكاد تكون مشتركة بين الباحثين.لا يهم إن كان هذا الإجماع صادرا بشكل عفوي. إنّ المهم في كل هذا وذاك هو أن نتجاوز الاختلافات ونستثيق بما يجمع الباحثين ويعبئ طاقاتهم لتوحيد المصطلح. إن مستقبل السيميائية العربية يظل مرهونا في بعض جوانبه بهذه الرغبة في درك جوهر الاختلافات والقيام بمسح شامل لما أنجز والوقوف عند القواسم المشتركة في البحوث العربيّة الراهنة. حتى نوضح هذه المسألة، سنقدّم النص الوارد في الكتاب باللغة الفرنسية، ونعمل على تقطيعه حتى يستقيم فهمنا لمقاصده العلمية ونقدم بعد ذلك ترجمة خليل أحمد وأوديت بيتيت بالعربية، لنناقش بعد ذلك الترجمة المعتمدة في النص على أن نختمها بمجموعة من الاقتراحات.

«[Quoi qu'il en soit ,chacun des niveaux que nous avons ici postulés conduit à poser des unités de nature différente].[Au niveau discursif ,on parlera des figures et configurations discursives],[au niveau narratif ,on parlera d'actants et de fonctions],
[au niveau profond enfin,on parlera d'unités minimales ou sèmes[12]»].

يترجم الباحثان هذا المقطع على النحو الآتي:

«ومهما يكن من أمر، فإن كلا من المستويات التي سلمنا بها هنا يقود إلى وضع وحدات من طبيعة مختلفة. على المستوى الاستدلالي، سنتحدث عن أشكال وتشكّلات استدلالية على المستوى القصصي سنتحدث عن عوامل وأعمال، وعلى المستوى العميق سنتحدث عن الوحدات الصغرى» [13]

سنستخـرج من هــذا النـص الترجمــات التي وضعـت للمصطلحات الأساسية :

المستويات : niveaux

الوحدات : unités

المستوى الاستدلالي : niveau discursif

الأشكال : figures

التشكلات الاستدلالية : configurations discursives

المستوى القصصي : niveau narratif .

العوامل :actants ويترجم هذا المصطلح في الصفحة 118 من الكتاب بـ الفواعل .

الأعمال :fonctions وتترجم في موضع آخر من الكتاب، ص.115، بـ الوظائف، وتترجم أيضا séquence بالوظيفة .

المستوى العميق : niveau profond .

الوحــدات الصغــرى : تترجم في الصفحة 59 بالدنيا (ويخص الترجمة نفسها لمصطلح sème) .

من الواضح أن بعض الترجمات الموضوعة على هذا النحو[اكتفينا في هذا السياق بعيّنة فقط لنستدل بها على ما افترضناه] ودون مراعاة للجهود العربية، تشكّل خرقا لما هو جاري استعماله في الخطاب النقدي، وعليه فإننا نثبت الترجمات الآتية :

خطابي : discursif .

صورة : figure .

وظيفة : fonction .

بالإضافة إلى هذا، فإن ترجمة الباحثين لا تتقيد بالنص من حيث تقطيعه وفقا لعلامات الوقف مما أدّى إلى تداخل واضطراب مستويات النص[**على المستوى الاستدلالي**، سنتحدث عن أشكال وتشكّلات استدلالية **على المستوى القصصي سنتحدث عن عوامل وأعمال**] .كما أن الترجمة جاءت ناقصة بحذف عنصر أساسي من الجملة الأخيرة : sèmes .

تأسيسا على هذا، نقترح الترجمة الآتية : « ومهما يكن من أمر، فإن كلا من المستويات التي سلمنا بوجودها هنا يقود إلى وضع وحدات من طبيعة مختلفة . على المستوى الخطابي، سنتحدث عن الصور والتشكّلات الخطابية، على المستوى السردي، سنتحدث عن العوامل والوظائف، وعلى المستوى العميق، سنتحدث عن الوحدات الدنيا أو السيمات » .

و قد لاحظنا اضطرابا كبيرا في الترجمة وتضاربا مثيرا في نقل المصطلح، وليس من الغرابة أن يعرض الباحثان ترجمة في موضع ويلغيانها في موضع آخر دون أن يقدما تبريرا لذلك ودون أن يراعيا الفروق المفهومية بين هذا المصطلح أو ذاك:

« Ces trois séquences requièrent l'intervention d'un certain nombre de"« forces » toujours les mêmes. Telle nomenclature en recense six": sujet, objet , destinateur, adjuvant, opposant"; telle autre ne proposera plus vraiment que les quatre premières. Ce sont les « ACTANTS » qui sont définis par leur rôles précis dans chacune de ces séquences :

1) le destinataire manque d'un certain objet.

2) le destinateur passe un contrat avec le sujet afin qu'il répare ce manque;

3) le sujet avec ou sans adjuvant accomplit l'acte impliqué par le contrat, et obtient l'objet.

Cet acte peut prendre la forme d'un combat contre un opposant/ou anti–sujet . C'est l'épreuve (14) ».

و قد جاءت ترجمة هذا النص على النحو الآتي:

« هذه الوظائف الثلاث تتطلب تدخل عدد من « القوى » هي دائما ذاتها .جدول ما يذكر منها ستا :فاعل، مفعول، مرسل، مرسل إليه، مساعد، معارض.

وجدول آخر لا يقدم منها، في الحقيقة، إلا الأربع الأولى، وهي: « العوامل المعرفة من خلال دورها المعين في كل من هذه الوظائف:

1) المرسل إليه نقص لمفعول معروف.

2) المرسل يقيم عقدا مع الفاعل لكي يعوض هذا النقص.

3) الفاعل مع أو بدون مساعد يقوم بالحدث المتضمن في العقد و يحصل على المفعول.

هذا الحدث يأخذ شكل معركة ضد– معارض أو ضد– فاعل. هذا هو الامتحان » (15).

لم تول هذه الترجمة أهمية للرموز الدالة الموجودة في اللغة الأصل واكتفت بتوسيم المصطلحات الأساسية بخط أسود بارز هو بمثابة السمة المميزة عن الخط العادي، وبالتالي، فإنها جديرة بالاهتمام. وإذا دققنا النظر في النص الأصل، سندرك أن الباحثة آن إينو تميّز، من جهة، بين الوظائف الأساسية وهي الافتقار والعقد والمهمة، فتضعها في مربّعات لأهميتها، ومن جهة أخرى، بين مختلف العوامل التي تسند لها أدوار في المقطوعة.

وحتى تستقيم معرفتنا للآليات التي احتكمت إليها الترجمة، سنعمد إلى ضبط المصطلحات الأساسية في النص الأصلي والترجمات التي وضعت لها في اللغة الهدف. وتكون هذه العملية متبوعة بمناقشة.

وظائف : séquences

مفعول : objet

نقص : manque

إن مصطلح séquence يترجم عموما بالمقطوعة التي تستعمل عادة للدلالة على الوحدة النصية التي تفرزها عملية التقطيع. وهي من هذه الزاوية تختلف اختلافا جذريا عن الوظيفة.

أما النقص الذي وضع كمقابل لـ manque، فإن ترجمته بهذا الشكل تخلّ بالمفهوم الذي وضع له أصلا ولا تعبّر عنه بدقة. إذا استندنا إلى المعجم الوسيط، نلاحظ أن النقص يتضمن مسارين دلاليين مركزيين:

أ) نقص الشيء فلانا : أعوزه،

ب) أعوز الشيء فلانا: قلّ عنده مع احتياجه إليه.

من الواضح أن النقص يدل في الوقت نفسه على وجود الشيء (الموضوع) وقلّته والاحتياج إليه.

ولئن كان الموضوع موجودا أصلا وجودا يتحقق بالزيادة أو النقصان، فإن المفهوم الذي يتضمنه **النقص** في الاصطلاح اللغوي لا يعبّر عن المضمون الدلالي لـ manque الذي يحيل على غياب الموضوع في الوضع الأولي situation initiale وذلك بقطع النظر عن **الزيادة** أو **النقصان**. من هنا يتضح لنا أن **المسألة الكميّة** للموضوع غير واردة البتّة في التعريف السيميائي لـ manque الذي يستعمل للدلالة على: «التعبير الصوري عن الفصلة الأوليّة بين الفاعل وموضوع التحرّي. إنّ التحويل الذي يعمل على تجسيد الوصلة (انتقال من حالة افتقار إلى سدّه) يتوافق مع المهمة الحاسمة. تأسيسا على هذا، فإن الافتقار ليس وظيفة بالمعنى البروبي بل حالة»(16).

ومن ثم وجب التفكير في مصطلح آخر يحمل مفهوم الاحتياج إلى شيء **لا نملكه ونرغب في الحصول عليه**. على هذا الأساس فإننا سنحتفظ بمصطلح الافتقار الذي يدل، من جهة، على فكرة الاحتياج إلى الشيء[المعجم الوسيط]، ويحيل، من جهة ثانية، على التعبير الصوري عن الفصلة الأولية بين الفاعل وموضوع التحرّي. وإذا دقّقنا النظر في الترجمة التي اقترحها خليل أحمد وأوديت بيتيت، فإننا ندرك أنها مرتكزة أساسا على النقل الحرفي دون الاكتراث إلى المفاهيم التي يحملها النص على نحو ما نلحظ ذلك في الترجمة الآتية:

manque d'un certain objet le destinataire :المرسل إليه نقص لمفعول معروف

يمكن أن نلاحظ على الصعيد الشكلي أن المترجم لم يراع الجوانب الشكلية في اللغة الأصل، والمتميزة بالإطار الذي وضعه لفعل manque. يأخذ هذا الفعل دلالة خاصة في الجملة ويشكّل القاعدة المركزية التي تنبني عليها المقطوعة. لقد تصرف في الجملة وأظهر النقص والمفعول بخطوط بارزة .كما نلاحظ أن الترجمة المقترحة مضطربة اضطرابا يجعل القارئ يتساءل عن موقع وحداتها المعجمية من الإعراب.

أما مصطلح objet، الذي يحيل في النظرية السيميائية على «الحيّز الذي تستثمر فيه القيم» فإنه عادة ما يوضع له **الموضوع** كمقابل.

انطلاقا من هذه الملاحظات، يمكن أن نقترح الترجمة الآتية للفقرة السابقة:

«إن هذه المقطوعات الثلاث تقتضي تدخل عدد من القوى تظل قارة باستمرار. وتحصي هذه المدونة منها ستًّا: الفاعل والموضوع والمرسل والمرسل إليه والمساعد والمعارض.ولا تقترح مدونّة أخرى سوى الأربعة الأوائل. إنها العوامل المعرّفة بأدوارها المحدّدة في كل واحدة من هذه المقطوعات:

1) يفتقر المرسل إليه إلى موضوع معين.

2)يبرم المرسل عقدا مع الفاعل في سبيل تعويض هذا الافتقار.

3)ينفّذ الفاعل، سواء في حضور المساعد أم غيابه، الفعل المتضمن في العقد ويحصل على الموضوع.

ويأخذ هذا الفعل شكل معركة موجّهة ضد المعارض أو الفاعل المضاد. يتعلق الأمر في هذه الحالة بالمهمة». وإذا دقّقنا النظر في المصطلحية المعتمدة في الكتاب، فإننا نلاحظ أنها غير قارة في كثير من المواضع و غالبا ما تتعدد الترجمات للمصطلح الواحد:

«الفاعل (sujet) مع أو بدون مساعد يقوم بالحدث المتضمّن في العقد ويحصل على المفعول»(ص.118).

«إن الفواعل (actants) ليست معرفة إلا بطريقة تجريدية» (ص.118).

إن مصطلح الفاعل الذي وضع كمقابل لـ sujet يحيل في الوقت نفسه على actant:

sujet

الفاعل ã

actant å

ينبغي أن تؤدي الترجمة، في تقديرنا الخاص، وظيفتها التواصلية انطلاقا من قراءة النص الأصل وتمثله وفهم مصطلحاته الأساسيّة في ضوء الإحاطة بأسيقتها النظرية والنظر إليها من زاوية تتيح الوقوف عليها في علاقتها بالمصطلحية المعتمدة في التوجه السيميائي. بهذه الرؤية يكون المترجم قد حقّق نسبة عالية من الفهم والتأويل ولا يسعه في المرحلة الثانية سوى نقل هذه الحمولة المعرفية إلى اللغة الهدف. وفي هذا الموضع بالذات تبدأ الصعوبة ويطرح السؤال بخصوص الأولوية التي ينبغي أن تعقد في اختيار هذا المصطلح أو ذاك. إنّ اختيار المصطلح المناسب يتوقف على معاينة المصطلحية المعتمدة في البحوث والقواميس العربية، وضرورة الاستناد إلى ما هو شائع منها، والاعتماد، في حالة حدوث الاختلافات، على جهود الباحثين القدامى في المجالات اللغوية والفلسفية، والارتكاز على الإمكانات الاشتقاقية التي تزخر بها اللغة العربية.

الإحالات

(1) علامات، مجلة ثقافية محكمة، العدد 20 مكناس / المغرب، 2003، ص .99–109 .

(2) نفسه، ص .106 .

(3) آن إينو، **مراهنات دراسات الدلالات اللغوية**، ترجمة أوديت بيتيت وخليل أحمد، دار السؤال للطباعة والنشر، دمشق، 1980 .

(4) محمد الناصر العجيمي، **في الخطاب السردي، نظرية قريماس** (Greimas)، الدار العربية للكتاب، تونس، 1993 .

(5) Jean – Marie Floch, Sémiotique, Marketing et communication, sous les signes, les stratégies, PUF, Paris, 2002, p. 4.

(6) سعيد علوش، **معجم المصطلحات الأدبية المعاصرة**، منشورات المكتبة، الدار البيضاء، 1984 .

(7) A. J. Greimas, J. Courtés, Sémiotique / Dictionnaire raisonné de la théorie du langage, HU, Paris, 1979, p. 346.

(8) A. J. Greimas in Anne Hénault , Les enjeux de la sémiotique, PUF , Paris, 1993 , p. 5.

(9) إبراهيم مصطفى ،أحمد حسن الزيات، حامد عبد القادر، محمد علي النجار، **المعجم الوسيط**، دار الدعوة، استانبول، تركية،1989، مادة جدا .

(10) **المرجع السابق**، مادة حرى .

(11) A. J. Greimas, J. Courtés, Dictionnaire raisonné de la théorie du langage, HU, Paris, 1979, p. 305.

(12) Anne Hénault, op. cit., p. 47.

(13) آن إينو، **مراهنات دراسات الدلالات اللغوية**، ترجمة أوديت بيتيت وخليل أحمد، دار السؤال للطباعة والنشر، دمشق، 1980، ص .64 .

(14) Anne Hénault, op. cit., p. 145 / 146

(15) آن إينو، **المرجع السابق**، ص .118 / 117 .

(16) A. J. Greimas, J. Courtés, op. cit., p. 305.

البيبليوغرافيا

1 .المراجع العربية

- إبراهيم مصطفى، أحمد حسن الزيات، حامد عبد القادر، محمد علي النجار، **المعجم الوسيط**، دار الدعوة، استانبول، تركية، 1989 .
- آن إينو، مراهنات دراسات الدلالات اللغوية، ترجمة أوديت بيتيت وخليل أحمد، دار السؤال للطباعة والنشر، دمشق، 1980 .
- محمد الناصر العجيمي، في الخطاب السردي، نظرية قريماس (Greimas)، الدار العربية للكتاب، تونس، 1993 .
- سعيد علوش، معجم المصطلحات الأدبية المعاصرة، منشورات المكتبة، الدار البيضاء، 1984 .
- علامات، مجلة ثقافيّة محكمة، العدد 20 كناس / المغرب، 2003 .

2 . المراجع الأجنبية

Floch, Sémiotique, Marketing et communication, sous les signes, les – Jean – Marie stratégies, PUF, Paris, 2002

– A. J. Greimas, J. Courtés, Sémiotique / Dictionnaire raisonné de la théorie du langage, HU, Paris, 1979

– A. J. Greimas in Anne Hénault , Les enjeux de la sémiotique ,
PUF, Paris, 1993